الصدق

وأثره في صلاح الفرد والمجتمع

ابن شهوان

جمع وترتيب
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

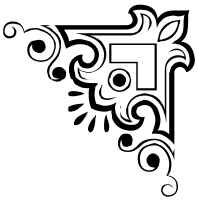

الصِّدْقُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ، وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ

فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ دِينٌ، وَلَا تَسْتَقِيمُ دُنْيَا إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَلِعَظَمَةِ الصِّدْقِ وَجَلَالِهِ وَحُسْنِهِ وَكَمَالِهِ؛ وَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ نَفْسَهُ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۖ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وَاللهُ -تَعَالَىٰ- مَوْصُوفٌ بِالصِّدْقِ فِي ذَاتِهِ، وَفِي أَقْوَالِهِ، وَفِي أَفْعَالِهِ، وَفِي وَعْدِهِ، وَفِي وَعِيدِهِ، وَفِي أَخْبَارِهِ، وَفِي شَرْعِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ إِرْسَالَ الْمُرْسَلِينَ: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩].

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ النَّبِيِّينَ بِالصِّدْقِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ بُرْهَانًا عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَىٰ مُكَذِّبِيهِمْ.

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- فِي الثَّنَاءِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ الْخَاتَمِ ﷺ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

وَوَصَفَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ؛ فَقَالَ -تَعَالَىٰ- بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جُمْلَةً مِنْ إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وَأَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ؛ **فَقَالَ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَة ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

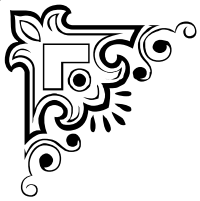

مَعْنَى الصِّدْقِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا

عِبَادَ اللهِ! مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ؛ صِدْقِ الْقَلْبِ، وَصِدْقِ الْجَوَارِحِ، وَصِدْقِ اللِّسَانِ، وَأَخَّرْتُ صِدْقَ اللِّسَانِ عَمْدًا؛ لِأَنَّ صِدْقَ اللِّسَانَ فَرْعٌ عَنْ صِدْقِ الْقَلْبِ، فَصِدْقُ الْقَلْبِ هُوَ الْأَصْلُ، وَتَمَامًا كَالظِّلِّ وَالْعُودِ، لَا يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجُ؛ فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَقِيمُ اللِّسَانُ بِصِدْقِهِ وَفِي الْقَلْبِ مَا فِيهِ بِكَذِبِهِ، وَإِذَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ اسْتَقَامَ اللِّسَانِ وَاسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ(١).

---

(١) أخرج أحمد في «**المسند**»: (٣/ ١٩٨)، ابن أبي الدنيا في «**الصمت وآداب اللسان**» ضمن موسوعته الحديثية: (٣/ ٥٠٥ رقم ٩)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**»: (٢/ ٦٢ رقم ٨٨٧)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١/ ٩٧ - ٩٨ رقم ٨)، من حديث: أَنَسٍ، قَالَ: قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «**لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ العَبْدِ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ**،...».

والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (٦/ ٨٢٢ رقم ٢٨٤١).

وقال ابن رجب في «**جامع العلوم والحكم**»: (١/ ٥١١-٥١٢):

«فَأَصْلُ الِاسْتِقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، فَمَتَىٰ اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَعَلَىٰ خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ، اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جُنُودُهُ، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ، اسْتَقَامَتْ جُنُودُهُ وَرَعَايَاهُ.

=

فِي «**الْمَقَايِيسِ**»، وَ«**الْمُفْرَدَاتِ**»، وَ«**اللِّسَانِ**»: «الصِّدْقُ: مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ (الصَّادِ وَالدَّالِ وَالْقَافِ)، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا أَوْ غَيْرَ قَوْلٍ.

مِنْ ذَلِكَ: الصِّدْقُ.. خِلَافَ الْكَذِبِ؛ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ وَهُوَ بَاطِلٌ، وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ: شَيْءٌ صَدْقٌ؛ أَيْ: صُلْبٌ، وَرُمْحٌ صَدْقٌ، وَيُقَالُ: صَدَقُوهُمُ الْقِتَالَ، وَفِي خِلَافِ ذَلِكَ: كَذَبُوهُمْ»[(١)].

وَقَالَ الرَّاغِبُ[(٢)]: «الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ أَصْلُهُمَا فِي الْقَوْلِ مَاضِيًا كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلًا، وَعْدًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَلَا يَكُونَانِ فِي الْقَوْلِ إِلَّا فِي الْخَبَرِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْكَلَامِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]».

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ[(٣)]: «الصِّدْقُ نَقِيضُ الْكَذِبِ؛ يُقَالُ: صَدَقَهُ الْحَدِيثَ أَنْبَأَهُ بِالصِّدْقِ، وَصَدَقْتُ الْقَوْمَ: قُلْتُ لَهُمْ صِدْقًا، وَرَجُلٌ صَدُوقٌ أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ، وَالصِّدِّيقُ: الدَّائِمُ التَّصْدِيقِ، وَيَكُونُ -أَيْضًا- الَّذِي يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِالْعَمَلِ، وَالصِّدِّيقُ الْمُبَالِغُ فِي الصِّدْقِ».

=

وَأَعْظَمُ مَا يُرَاعَىٰ اسْتِقَامَتُهُ بَعْدَ الْقَلْبِ مِنَ الْجَوَارِحِ اللِّسَانُ، فَإِنَّهُ تُرْجُمَانُ الْقَلْبِ وَالْمُعَبِّرُ عَنْهُ».

(١) «**مقاييس اللغة**»: (٣/ ٣٣٩)، مادة: (صدق)، بتصرف يسير.

(٢) «**الْمُفْرَدَاتِ**»: (ص٤٧٨)، باختصار يسير.

(٣) «**لسان العرب**»: (١٠/ ١٩٣)، مادة: (صدق)، وانظر: «**المحكم**» لابن سيده: (٦/ ١٨٩)، و«**تهذيب اللغة**»: (٨/ ٢٧٦-٢٧٨)، و«**الصحاح**»: (٤/ ١٥٠٦).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ(١): «وَالصِّدِّيقُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

الصِّدِّيقُونَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ- هَذَا: جَمْعُ صِدِّيقٍ، وَهُوَ الْمُبَالِغُ فِي الصِّدْقِ أَوِ التَّصْدِيقِ، أَوْ هُوَ الَّذِي يُحَقِّقُ بِفِعْلِهِ مَا يَقُولُهُ بِلِسَانِهِ، وَقِيلَ: هُمْ فُضَلَاءُ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ يَسْبِقُونَ إِلَىٰ تَصْدِيقِهِمْ كَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَمَّا الصَّادِقُونَ الَّذِينَ أَمَرَنَا الْمَوْلَىٰ بِأَنْ نَكُونَ مَعَهُمْ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فَهُمُ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَا مَعَ الْمُنَافِقِينَ، وَالْمَعْنَي: كُونُوا عَلَىٰ مَذْهَبِ الصَّادِقِينَ وَسَبِيلِهِمْ، وَقِيلَ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَقِيلَ: هُمُ الْمُوفُونَ بِمَا عَاهَدُوا، وَقِيلَ: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ، وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينِ اسْتَوَتْ ظَوَاهِرُهُمْ مَعَ بَوَاطِنِهِمْ»(٢).

«﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، فَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ: الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقِيلَ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَّا الَّذِي جَاءَ بِهِ فَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، جَاءَ بِالصِّدْقِ؛ أَيْ: جَاءَ بِـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»».

---

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**»: (٥/ ٢٧٢)، باختصار وتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق: (٨/ ٢٨٨-٢٨٩)، باختصار.

وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: «الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ هُمْ أَصْحَابُ الْقُرْآنِ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: هَذَا مَا أَعْطَيْتُمُونَا فَعَمِلْنَا فِيهِ بِمَا أَمَرْتُمُونَا[1]»[2]؛ يَعْنُونَ الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ مُجَاهِدٍ يَشْمَلُ كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُونَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَالرَّسُولُ ﷺ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالدُّخُولِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ، وَآمَنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ؛ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

وَحُكِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَنَّ الَّذِي صَدَّقَ بِهِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ»[4].

فَهَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا تَدُورُ حَوْلَ مَعْنَىٰ الصِّدْقِ لُغَةً.

وَأَمَّا الصِّدْقُ فِي الِاصْطِلَاحِ؛ فَقَدْ قَالَ الرَّاغِبُ[5]: «الصِّدْقُ: مُطَابَقَةُ الْقَوْلِ الضَّمِيرَ وَالْمُخْبَرَ عَنْهُ مَعًا، وَمَتَىٰ انْخَرَمَ شَرْطٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ صِدْقًا تَامًّا، بَلْ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**»: (٦/ ٢٤٥، رقم ٨٠٥)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٠/ ٤٩٧)، وابن الضريس في «**فضائل القرآن**»: (ص ٦٣، رقم ١٠٤)، والفريابي في «**فضائل القرآن**»: (ص١٢٦-١٢٨، رقم ٢٠ و٢١)، والطبري في «**جامع البيان**»: (٢٤/ ٤)، وأبو نعيم في «**الحلية**»: (٣/ ٢٨١)، بإسناد صحيح.

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**»: (٧/ ٩٩)، باختصار وتصرف.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: (٢٤/ ٣)، بإسناد صحيح.

(٥) «**المفردات**»: (ص٤٧٨-٤٧٩).

إِمَّا أَلَّا يُوصَفَ بِالصِّدْقِ، وَإِمَّا أَنْ يُوصَفَ تَارَةً بِالصِّدْقِ وَتَارَةً بِالْكَذِبِ، عَلَىٰ نَظَرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ؛ كَقَوْلِ كَافِرٍ إِذَا قَالَ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّ هَذَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: صِدْقٌ؛ لِكَوْنِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ كَذَلِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: كَذِبٌ؛ لِمُخَالَفَةِ قَوْلِهِ ضَمِيرَهُ، وَبِالْوَجْهِ الثَّانِي إِكْذَابُ اللهِ الْمُنَافِقِينَ حَيْثُ قَالُوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾» [المنافقون: ١].

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ(١): «الصِّدْقُ: مُطَابَقَةُ الْحُكْمِ لِلْوَاقِعِ، وَهَذَا هُوَ ضِدُّ الْكَذِبِ، وَقِيلَ: اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ بِأَلَّا تُكَذِّبَ أَحْوَالُ الْعَبْدِ أَعْمَالَهُ، وَلَا أَعْمَالُهُ أَحْوَالَهُ، وَهَذَا مِنْ أَدَقِّ مَا يَكُونُ»(٢).

الصِّدْقُ: اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.. الصِّدْقُ: اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، بِأَلَّا تُكَذِّبَ أَحْوَالُ الْعَبْدِ أَعْمَالَهُ، وَلَا أَعْمَالُهُ أَحْوَالَهُ.(*).

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ رَحِمَهُ اللهُ(٤): «وَالصِّدْقُ: مَعْنَاهُ مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ؛ هَذَا فِي الْأَصْلِ، وَيَكُونُ فِي الْأَخْبَارِ، فَإِذَا أَخْبَرْتَ بِشَيْءٍ وَكَانَ خَبَرُكَ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ قِيلَ إِنَّهُ صِدْقٌ، كَأَنْ تَقُولَ عَنْ هَذَا الْيَوْمِ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فَهَذَا خَبَرٌ صِدْقٌ؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا قُلْتَ: الْيَوْمُ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ؛ فَهَذَا خَبَرٌ كَذِبٌ.

---

(١) «**التعريفات**»: (ص١٣٢).

(٢) «**نضرة النعيم**»: (٦/ ٢٤٧٣-٢٤٧٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

(٤) «**شرح رياض الصالحين**»: (١/ ٢٨٩-٣١٩)، باختصار وتصرف يسير.

فَالْخَبَرُ إِنْ طَابَقَ الْوَاقِعَ فَهُوَ صِدْقٌ، وَإِنْ خَالَفَ الْوَاقِعَ فَهُوَ كَذِبٌ، وَكَمَا يَكُونُ الصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ يَكُونُ الصِّدْقُ -أَيْضًا- فِي الْأَفْعَالِ.

فَالصِّدْقُ فِي الْأَفْعَالِ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ بَاطِنُهُ مُوَافِقًا لِظَاهِرِهِ، بِحَيْثُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا يَكُونُ مُوَافِقًا لِمَا فِي قَلْبِهِ، فَالْمُرَائِي -مَثَلًا- لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ مِنَ الْعَابِدِينَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَالْمُشْرِكُ مَعَ اللهِ لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ أَنَّهُ مُوَحِّدٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَالْمُنَافِقُ لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ، وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ. وَالْمُبْتَدِعُ لَيْسَ بِصَادِقٍ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الِاتِّبَاعَ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَلَيْسَ بِمُتَّبِعٍ.

فَالْمُهِمُّ أَنَّ الصِّدْقَ مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ، وَهُوَ مِنْ سِمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ صِفَاتِهِمْ، وَعَكْسُهُ الْكَذِبُ، وَهُوَ مِنْ سِمَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْ خِصَالِهِمْ».

أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالصِّدْقِ وَثَنَاؤُهُ عَلَى الصَّادِقِينَ

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِأَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَاتَّبَعُوا شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ! الْتَزِمُوا طَاعَةَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَعْصُوا بِتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ لِتَتَّقُوا عِقَابَ اللهِ الْعَاجِلَ وَالْآجِلَ.

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ، وَإِسْلَامِهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمُ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ إِيمَانِهِمْ تَعْبِيرًا صَادِقًا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةَ.

وَكُونُوا مَعَ مَنْ صَدَقَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فِي الْغَزَوَاتِ، وَلَا تَكُونُوا مَعَ الْمُتَخَلِّفِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَعَدُوا فِي الْبُيُوتِ وَتَرَكُوا الْغَزْوَ.(*).

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَقَدْ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ؛ وَمِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنهم(٢)، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ حِينَ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [التوبة: ١١٩].

(٢) حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم في الصحيحين: «**صحيح البخاري**»: (٨/ ١١٣-١١٦، رقم ٤٤١٨)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٢٠-٢١٢٩، رقم ٢٧٦٩).

مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ.. كَانُوا قَدْ تَخَلَّفُوا عَنْهَا بِغَيْرِ عُذْرٍ، وَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّهُمْ لَا عُذْرَ لَهُمْ، فَخَلَّفَهُمْ؛ أَيْ: تَرَكَهُمْ.

فَمَعْنَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]؛ أَيْ: تُرِكُوا، فَلَمْ يُبَتَّ فِي شَأْنِهِمْ، وَلَمْ يُفْصَلْ فِي أَمْرِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، جَاءُوا إِلَيْهِ يَعْتَذِرُونَ وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ مَعْذُورُونَ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

أَمَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ فَصَدَقُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُ بِالصِّدْقِ بِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ بِلَا عُذْرٍ؛ فَأَرْجَأَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسِينَ لَيْلَةً، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فَأَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَتَّقُوا اللهَ، وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، لَا مَعَ الْكَاذِبِينَ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وَهَذِهِ فِي جُمْلَةِ الْآيَةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ؛ وَهِيَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

﴿وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾... إِلَىٰ أَنْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾... إِلَىٰ أَنْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]؛ فَذَكَرَ اللهُ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي مَقَامِ الثَّنَاءِ، وَفِي بَيَانِ مَا لَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]؛ أَيْ: لَوْ عَامَلُوا اللهَ بِالصِّدْقِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ، وَلَكِنْ عَامَلُوا اللهَ بِالْكَذِبِ فَنَافَقُوا وَأَظْهَرُوا خِلَافَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَعَامَلُوا النَّبِيَّ ﷺ بِالْكَذِبِ؛ فَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لَهُ وَهُمْ مُخَالِفُونَ لَهُ، فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَذَبُوا اللهَ جَلَّ وَعَلَا فَكَانَ شَرًّا لَهُمْ.

وَقَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]؛ **فَقَالَ سُبْحَانَهُ:** ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الصِّدْقَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ، وَأَنَّهُ مَحَلٌّ لِلْجَزَاءِ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

إِذَنْ؛ عَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الصَّادِقِينَ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ صُرَحَاءَ، عَلَيْنَا أَلَّا نُخْفِيَ الْأَمْرَ عَنْ غَيْرِنَا مُدَاهَنَةً وَمُرَاءَاةً؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا حَدَثَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ حَدَّثَ عَنْ شَيْءٍ فَعَلَهُ وَكَانَ لَا يُرْضِيهِ؛ كَذَبَ وَقَالَ: مَا فَعَلْتُ!

لِمَاذَا؟!!

يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَلَّا تَسْتَحْيِيَ مِنَ الْخَلْقِ، وَأَلَّا تُبَارِزَ الْخَالِقَ جَلَّوَعَلَا بِالْكَذِبِ، قُلِ الصِّدْقَ وَلَا تُبَالِ بِأَحَدٍ، وَأَنْتَ إِذَا عَوَّدْتَ نَفْسَكَ الصِّدْقَ؛ فَإِنَّكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ سَوْفَ تُصْلِحُ حَالَكَ.

أَمَّا إِذَا أَخْبَرْتَ بِالْكَذِبِ وَصِرْتَ تَكْتُمُ عَنِ النَّاسِ وَتَكْذِبُ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَسْتَمِرُّ فِي غَيِّكَ، وَلَكِنْ إِذَا صَدَقْتَ؛ فَإِنَّكَ سَوْفَ تُعَدِّلُ مَسِيرَكَ وَمِنْهَاجَكَ.

فَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِيمَا لَكَ وَفِيمَا عَلَيْكَ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ مَعَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ أَمَرَكَ اللهُ أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

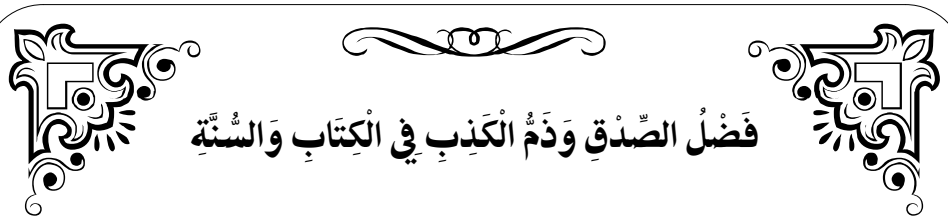

فَضْلُ الصِّدْقِ وَذَمُّ الْكَذِبِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

«**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**»؛ أَيِ: الْزَمُوا الصِّدْقَ.

وَالصِّدْقُ: مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ.

وَالْخَبَرُ يَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَيَكُونُ بِالْأَرْكَانِ:

---

(١) «**رياض الصالحين**»: المقدمة، باب الصدق، الحديث الأول، (ص٥١، رقم ٥٤).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (١٠/ ٥٠٧، رقم ٦٠٩٤)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢٠١٢-٢٠١٣، رقم ٢٦٠٧).

وفي رواية لمسلم: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**».

١- أَمَّا بِاللِّسَانِ: فَهُوَ الْقَوْلُ.

٢- وَأَمَّا بِالْأَرْكَانِ: فَهُوَ الْفِعْلُ.

وَلَكِنْ.. كَيْفَ يَكُونُ الْكَذِبُ بِالْفِعْلِ؟

إِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ؛ فَهَذَا قَدْ كَذَبَ بِفِعْلِهِ، فَالْمُنَافِقُ -مَثَلًا- كَاذِبٌ؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، يُصَلِّي مَعَ النَّاسِ، وَيَصُومُ مَعَ النَّاسِ، وَيَتَصَدَّقُ، وَلَكِنَّهُ بَخِيلٌ، وَرُبَّمَا يَحُجُّ!!

فَمَنْ رَأَىٰ أَفْعَالَهُ حَكَمَ عَلَيْهِ بِالصَّلَاحِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ لَا تُنْبِئُ عَمَّا فِي الْبَاطِنِ؛ فَهِيَ كَذِبٌ.

وَلِهَذَا يُقَالُ: الصِّدْقُ يَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَيَكُونُ بِالْأَرْكَانِ، فَمَتَىٰ طَابَقَ الْخَبَرُ الْوَاقِعَ فَهُوَ صِدْقٌ بِاللِّسَانِ، وَمَتَىٰ طَابَقَتْ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ مَا فِي الْقَلْبِ فَهِيَ صِدْقٌ بِالْأَفْعَالِ.

ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ -عِنْدَمَا أَمَرَ بِالصِّدْقِ-.. بَيَّنَ عَاقِبَتَهُ؛ فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ**».

الْبِرُّ: كَثْرَةُ الْخَيْرِ، وَمِنْهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّوَعَلَا: **الْبَرُّ**: أَيْ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ﷻ.

فَالْبِرُّ يَعْنِي كَثْرَةَ الْخَيْرِ، وَهُوَ مِنْ نَتَائِجِ الصِّدْقِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»؛ فَصَاحِبُ الْبِرِّ يَهْدِيهِ بِرُّهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ غَايَةُ كُلِّ مَطْلَبٍ، وَلِهَذَا يُؤْمَرُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ وَيَسْتَعِيذَ

بِهِ مِنَ النَّارِ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**».

وَالصِّدِّيقُ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَرَاتِبِ الْخَلْقِ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، فَالرَّجُلُ الَّذِي يَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ يُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصِّدِّيقِيَّةَ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَنَالُهَا إِلَّا الْأَفْذَاذُ مِنَ النَّاسِ، وَتَكُونُ الصِّدِّيقِيَّةُ فِي الرِّجَالِ وَتَكُونُ فِي النِّسَاءِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

وَأَفْضَلُ الصَّدِّيقِينَ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ أَصْدَقُهُمْ؛ وَهُوَ: أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه؛ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، الَّذِي اسْتَجَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حِينَ دَعَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَحْصُلْ عِنْدَهُ أَيُّ تَرَدُّدٍ وَأَيُّ تَوَقُّفٍ، فَبِمُجَرَّدِ مَا دَعَاهُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَسْلَمَ، وَصَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَصَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَخْبَرَ عَنِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَكَذَّبَهُ النَّاسُ، وَقَالُوا: كَيْفَ تَذْهَبُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَتَرْجِعُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ تَقُولُ: إِنَّكَ صَعِدْتَ إِلَى السَّمَاءِ؟! فَهَذَا لَا يُمْكِنُ! ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَالُوا لَهُ: أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ صَاحِبُكَ؟

قَالَ: وَمَاذَا قَالَ؟

قَالُوا: إِنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: «إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ».

فَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمِّيَ بِالصِّدِّيقِ رضي الله عنه(١).

وَأَمَّا الْكَذِبُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَّرَ مِنْهُ؛ فَقَالَ: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ**».

«**إِيَّاكُمْ**»: لِلتَّحْذِيرِ؛ أَيِ: احْذَرُوا الْكَذِبَ.

وَالْكَذِبُ: هُوَ الْإِخْبَارُ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ، فَإِذَا قَالَ لَكَ قَائِلٌ: مَا الْيَوْمُ؟ فَقُلْتَ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْخَمِيسِ، أَوْ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ.. فَهَذَا كَذِبٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وَالْمُنَافِقُ كَاذِبٌ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَهُوَ كَافِرٌ، فَهُوَ كَاذِبٌ بِفِعْلِهِ.

---

(١) أخرج الحاكم في «**المستدرك**»: (٣/ ٦٢ و٧٦ - ٧٧)، واللالكائي في «**شرح أصول الاعتقاد**»: (٤/ ٨٥٢ و ٨٥٥، رقم ١٤٣٠ و١٤٣٢)، وأبو نعيم في «**معرفة الصحابة**»: (١/ ٢٤، رقم ٦٩)، والبيهقي في «**دلائل النبوة**»: (٢/ ٣٦٠-٣٦١)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٣٠/ ٥٥، ترجمة رقم ٣٣٩٨)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ:
لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَصْبَحَ يُحَدِّثُ بِذَلِكَ النَّاسَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِهِ وَفُتِنُوا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ»؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ.
قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وكذا صححه بشواهده الألباني في «**السلسلة الصحيحة**»: (١/ ٦١٥، رقم ٣٠٦).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ**».

الْفُجُورُ: الْخُرُوجُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْسُقُ، وَيَتَعَدَّىٰ طَوْرَهُ، وَيَخْرُجُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ.

وَأَعْظَمُ الْفُجُورِ الْكُفْرُ.. عِيَاذًا بِاللهِ، وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الرَّفِيعِ؛ فَإِنَّ الْكَفَرَةَ فَجَرَةٌ، كَمَا قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المطففين: ٧-١١].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

فَالْكَذِبُ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ.. نَعُوذُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- مِنْهَا.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ**».

وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: «**لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**».

وَالْكَذِبُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحَرَّمَةِ، بَلْ هُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَوَعَّدَ الْكَذَّابَ بِأَنَّهُ يُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

فَهَذِهِ صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ، وَهُوَ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ؛ مَنْ أَتَىٰ بِهَذِهِ الْخِصَالِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ فَفِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا؛ حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ.(*).

وَمِنْ أَعْظَمِ الْكَذِبِ: مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ الْيَوْمَ؛ يَأْتِي بِالْمَقَالَةِ كَاذِبًا يَعْلَمُ أَنَّهَا كَذِبٌ، لَكِنْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُضْحِكَ النَّاسَ!!

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْوَعِيدُ عَلَىٰ هَذَا؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ؛ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»(٣). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٣٤ و٢٤٥٩ و٣١٧٨)، و«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (رَقْم ٥٨)، وفي رِوَايَة لهما: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**» بدلًا من «**إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا!!» - ١٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ٣٠-٧-٢٠١٠م.

(٣) أخرجه أبو داود: (٤/ ٢٩٧-٢٩٨، رقم ٤٩٩٠)، والترمذي: (٤/ ٥٥٧، رقم ٢٣١٥)، من حديث: معاوية بن حيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وكذا حسنه أيضا الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ١٢٧، رقم ٢٩٤٤).

وَهَذَا وَعِيدٌ عَلَىٰ أَمْرٍ سَهْلٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، يَأْتِي بِالْكِذْبَةِ وَيُلْقِي بِالْكَلِمَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُضْحِكَ بِهَا جُلَسَاءَهُ، يَكْتُبُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِ بِذَلِكَ سَخَطَهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١).

فَالْكَذِبُ كُلُّهُ حَرَامٌ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الَّذِي مَرَّ -أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنْ يُضْحِكَ النَّاسَ-، الْكَذِبُ كُلُّهُ حَرَامٌ، وَكُلُّهُ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَلَا يُسْتَثْنَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٢)، أَنَّهُ يُسْتَثْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: فِي الْحَرْبِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا وَحَدِيثِهِ إِيَّاهَا.

---

(١) أخرج الترمذي: (٤/ ٥٥٩، رقم ٢٣١٩)، وابن ماجه: (٢/ ١٣١٢، رقم ٣٩٦٩)، من حديث: بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ، قال:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ**».
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَفِي البَاب عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ»، والحديث صححه أيضا الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٥٤٩، رقم ٨٨٨).

(٢) «**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢٠١١-٢٠١٢، رقم ٢٦٠٥)، من حديث: أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ، قَالَتْ:
مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: «**الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا**».

وَلَكِنْ.. بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: «إِنَّ الْمُرَادَ بِالْكَذِبِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: التَّوْرِيَةُ، وَلَيْسَ الْكَذِبَ الصَّرِيحَ.. قَالَ: التَّوْرِيَةُ قَدْ تُسَمَّىٰ كَذِبًا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ قَوْلُهُ:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، **وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ...**». الْحَدِيثَ، وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَإِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا- لَمْ يَكْذِبْ، وَإِنَّمَا وَرَّىٰ تَوْرِيَةً هُوَ فِيهَا صَادِقٌ؛ فَسَمَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ تِلْكَ التَّوْرِيَةَ كَذِبًا.

وَأَمَّا الْكَذِبُ الْمَعْهُودُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَرَّأَ مِنْهُ أَنْبِيَاءَهُ، وَخَلِيلُ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ**».

وَالْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: «إِنَّ الْكَذِبَ الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا هُوَ تَوْرِيَةٌ؛ فَقَدْ وَرَّىٰ تَوْرِيَةً هُوَ فِيهَا صَادِقٌ ﷺ».

وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِحَقِّ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ فَمَقَامُهُمْ مَحْفُوظٌ، وَمَقَامُهُمْ عَالٍ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَعِنْدَ النَّاسِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُبَرَّءُوا مِنْ كُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُثِيرًا نَقْصًا عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ؛ لِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا وَرَّىٰ تَوْرِيَةً هُوَ فِيهَا صَادِقٌ».

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٦/ ٣٨٨، رقم ٣٣٥٧ و٣٣٥٨)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ١٨٤٠، رقم ٢٣٧١).

سَوَاءٌ كَانَ هَذَا أَوْ هَذَا؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ عَلَىٰ رَأْيِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: «الْكَذِبُ لَا يَجُوزُ مُطْلَقًا؛ لَا مَزْحًا، وَلَا جِدًّا، وَلَا إِذَا تَضَمَّنَ أَكْلَ مَالٍ أَوْ لَا».

وَأَشَدُّ شَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ: أَنْ يَكْذِبَ وَيَحْلِفَ لِيَأْكُلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، كَأَنْ يَدَّعِيَ عَلَيْهِ رَجُلٌ حَقًّا ثَابِتًا، فَيَأْتِي هَذَا فَيُنْكِرُ وَيَقُولُ: وَاللهِ مَا لَكَ عَلَيَّ حَقٌّ! أَوْ يَدَّعِيَ مَا لَيْسَ لَهُ فَيَقُولَ: لِي عِنْدَكَ كَذَا وَكَذَا! وَهُوَ كَاذِبٌ؛ فَهَذَا إِذَا حَلَفَ عَلَىٰ دَعْوَاهُ وَكَذَبَ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ: الْيَمِينُ الْغَمُوسُ الَّتِي تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ، ثُمَّ تَغْمِسُهُ فِي النَّارِ.. وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْيَمِينَ الْغَمُوسَ لَا كَفَّارَةَ لَهَا، أَمَّا الَّتِي يَحْنَثُ فِيهَا فَهِيَ الَّتِي يُكَفِّرُ عَنْهَا، وَأَمَّا اللَّغْوُ فَلَا شَيْءَ فِيهِ.. وَأَمَّا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ؛ فَهَذِهِ لَا كَفَّارَةَ لَهَا، يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَرُدُّ الْمَظَالِمَ إِنْ تَرَتَّبَ عَلَىٰ هَذِهِ الْيَمِينِ شَيْءٌ مِنَ الظُّلْمِ وَقَعَ بِسَبَبِ يَمِينِهِ، وَلَكِنَّهَا تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ، ثُمَّ تَغْمِسُهُ فِي النَّارِ.. وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ** -أَيْ فِي تِلْكَ الْيَمِينِ-؛ **لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري: (٥/ ٣٣، رقم ٢٣٥٦)، ومسلم: (١/ ١٢٢-١٢٣، رقم ١٣٨)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْكَذِبَ حَرَامٌ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكْذِبَ مُطْلَقًا، لَا هَازِلًا وَلَا جَادًّا، إِلَّا فِي الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ، عَلَىٰ خِلَافٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ الَّذِي مَرَّ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ مُطْلَقًا لَا فِي جِدٍّ وَلَا فِي هَزْلٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّوْرِيَةِ كَمَا مَرَّ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ»(٢)، وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَهُوَ صَحِيحٌ كَمَا قَالَ التِّرْمِذِيُّ.

«**دَعْ مَا يَرِيبُكَ**»؛ دَعْ: أَيِ اتْرُكْ.

«**مَا يَرِيبُكَ**»؛ بِفَتْحِ الْيَاءِ؛ أَيْ: مَا تَشُكُّ فِيهِ، وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ.

«**إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ**»: إِلَىٰ الشَّيْءِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا شَكَّ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ**»؛ فَهَذَا وَجْهُ الشَّاهِدِ لِهَذَا الْحَدِيثِ لِهَذَا الْبَابِ وَهُوَ بَابُ الصِّدْقِ، كَمَا عَقَدَ لِذَلِكَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الرِّيَاضِ».

---

(١) أخرجه الترمذي: (٤/ ٦٦٨، رقم ٢٥١٨)، والنسائي: (٨/ ٣٢٧، رقم ٥٧١١).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه أيضا الألباني في «**إرواء الغليل**»: (١/ ٤٤، رقم ١٢)، وروي عن ابن عمر وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بنحوه.

(٢) «**رياض الصالحين**»: المقدمة، باب الصدق، الحديث الثاني، (ص٥١، رقم ٥٥).

فَالصِّدْقُ طُمْأَنِينَةٌ، لَا يَنْدَمُ صَاحِبُهُ أَبَدًا، وَلَا يَقُولُ: لَيْتَنِي وَلَيْتَنِي؛ لِأَنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ، وَالصَّادِقُونَ يُنَجِّيهِمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِصِدْقِهِمْ.

وَتَجِدُ الصَّادِقَ دَائِمًا مُطْمَئِنًّا؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَأَسَّفُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَصَلَ أَوْ شَيْءٍ يَحْصُلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَدَقَ، وَمَنْ صَدَقَ نَجَا.

أَمَّا الْكَذِبُ؛ فَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ رِيبَةٌ، وَلِهَذَا تَجِدُ أَوَّلَ مَنْ يَرْتَابُ فِي الْكَاذِبِ نَفْسَهُ، فَيَرْتَابُ الْكَاذِبُ هَلْ يُصَدِّقُهُ النَّاسُ أَوْ لَا يُصَدِّقُونَهُ؟!!

وَلِهَذَا تَجِدُ الْكَاذِبَ إِذَا أَخْبَرَكَ بِالْخَبَرِ قَامَ يَحْلِفُ بِاللهِ أَنَّهُ صَدَقَ؛ لِئَلَّا يُرْتَابَ فِي خَبَرِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَحَلُّ رِيبَةٍ.

تَجِدُ الْمُنَافِقِينَ -مَثَلًا- يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا، وَلَكِنَّهُمْ فِي رِيبَةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤].

فَالْكَذِبُ لَا شَكَّ أَنَّهُ رِيبَةٌ وَقَلَقٌ لِلْإِنْسَانِ، وَيَرْتَابُ الْإِنْسَانُ هَلْ عَلِمَ النَّاسُ بِكَذِبِهِ أَمْ لَمْ يَعْلَمُوا؟!!

فَلَا يَزَالُ فِي شَكٍّ وَاضْطِرَابٍ.

فَنَأْخُذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَدَعَ الْكَذِبَ إِلَىٰ الصِّدْقِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ، وَأَمَّا الصِّدْقُ فَطُمَأْنِينَةٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ**».

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصِّدْقِ مِنْ بِدَايَةِ الْبَعْثَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ وَاضِحًا عِنْدَ الْكَافِرِينَ.. عِنْدَ الْمَدْعُوِّينَ، كَانَ وَاضِحًا لَا امْتِرَاءَ فِيهِ؛ فَعَنْ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ رضي الله عنه -مِنْ حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ-.

قَالَ هِرَقْلُ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ -يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ-.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ.. وَكَانَ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدُ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَقُولُ ﷺ: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ**»(١). وَحَدِيثُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا أَمَرَ بِهِ مُنْذُ بِدَايَةِ الْبَعْثَةِ بِالصِّدْقِ.

---

(١) «**رياض الصالحين**»: المقدمة، باب الصدق، الحديث الثالث، (ص٥١، رقم ٥٦).

(٢) هذا اللفظ تفرد به البخاري: (١/ ٣٢، رقم ٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وهو في الصحيحين: «**صحيح البخاري**»: (٨/ ٢١٤-٢١٥، رقم ٤٥٥٣)، و«**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٣٩٣ - ١٣٩٦، رقم ١٧٧٣)، بلفظ: أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: «**يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالعَفَافِ**»، قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ،... الحديث.

وفي رواية للبخاري: (٦/ ١١٠، رقم ٢٩٤٠)، بلفظ: «**يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ**».

عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ، فَإِذَا صَدَقْتُمْ أَفْلَحْتُمْ وَنَجَحْتُمْ، وَإِنْ كَذَبْتُمْ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ جَزَاءَ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَهَذَا بَعْضُ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي فَضْلِ الصِّدْقِ وَذَمِّ الْكَذِبِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَرْزُقَنَا الصِّدْقَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ، وَالْإِحْسَانَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

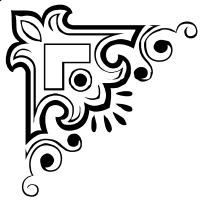

الرَّسُولُ ﷺ هُوَ إِمَامُ الصَّادِقِينَ

«الرَّسُولُ ﷺ هُوَ إِمَامُ الصَّادِقِينَ، كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ أَفْضَلَ مِثَالٍ لِلْإِنْسَانِ الْكَامِلِ الَّذِي اتَّخَذَ مِنَ الصِّدْقِ فِي الْقَوْلِ وَالْأَمَانَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ خَطًّا ثَابِتًا لَا يَحِيدُ عَنْهُ قِيدَ أُنْمُلَةٍ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِيهِ بِمَثَابَةِ السَّجِيَّةِ وَالطَّبْعِ، فَعُرِفَ بِذَلِكَ حَتَّىٰ قَبْلَ الْبَعْثَةِ.

وَكَانَ لِذَلِكَ يُلَقَّبُ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَاشْتُهِرَ بِهَذَا وَعُرِفَ بِهِ بَيْنَ أَقْرَانِهِ، وَقَدِ اتَّخَذَ ﷺ مِنَ الصِّدْقِ الَّذِي اشْتُهِرَ بِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ مَدْخَلًا إِلَىٰ الْمُجَاهَرَةِ بِالدَّعْوَةِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ جَمَعَ أَهْلَهُ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ مَدَىٰ تَصْدِيقِهِمْ لَهُ إِذَا أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَأَجَابُوا بِمَا عَرَفُوا عَنْهُ قَائِلِينَ: «مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا الصِّدْقَ»؛ مَا عَرَفْنَا عَنْكَ إِلَّا الصِّدْقَ، وَمَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.

رَوَىٰ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ! يَا بَنِي عَدِيٍّ!**» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا.

فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ،**

أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟».

قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.

قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**».

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ: ﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ**﴾ [المسد: ١- ٢](١).

لَقَدْ كَانَ الصِّدْقُ مِنْ خَصَائِصِ أَقْوَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَحْفُوظَ اللِّسَانِ مِنْ تَحْرِيفٍ فِي قَوْلٍ، وَاسْتِرْسَالٍ فِي خَبَرٍ يَكُونُ إِلَىٰ الْكَذِبِ مَنْسُوبًا وَلِلصِّدْقِ مُجَانِبًا، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ كُلُّهَا تَعْرِفُ عَنْهُ ذَلِكَ، وَلَوْ حَفِظُوا عَلَيْهِ كِذْبَةً نَادِرَةً فِي غَيْرِ الرِّسَالَةِ لَجَعَلُوهَا دَلِيلًا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ فِي الرِّسَالَةِ، وَمَنْ لَزِمَ الصِّدْقَ فِي صِغَرِهِ كَانَ لَهُ فِي الْكِبَرِ أَلْزَمَ، وَمَنْ عُصِمَ مِنْهُ فِي حَقِّ نَفْسِهِ كَانَ فِي حُقُوقِ اللهِ أَعْصَمَ».

وَبَعْدَ الْبَعْثَةِ الْمُبَارَكَةِ كَانَ تَصْدِيقُ الْوَحْيِ لَهُ مَدْعَاةً لِأَنْ يُطْلِقَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ: الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ ﷺ، وَصَدَقَ اللهُ ﷻ إِذْ قَالَ: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٢- ٤]»(٣). (*).

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/ ٥٠١، رقم ٤٧٧٠)، ومسلم: (١/ ١٩٣، رقم ٢٠٨).

(٢) «**جلاء الأفهام**»: (ص١٩٩)، بتصرف.

(٣) «**نضرة النعيم**»: (٦/ ٢٤٧٥-٢٤٧٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

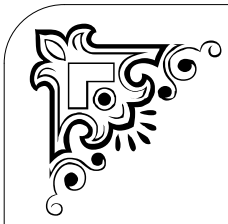

اصْدُقُوا! فَالْكَلِمَةُ أَمَانَةٌ

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! خَافُوا عِقَابَ اللهِ إِذَا عَصَيْتُمُوهُ، وَقُولُوا قَوْلًا صَوَابًا قَاصِدًا إِلَىٰ الْحَقِّ وَالسَّدَادِ؛ يَتَقَبَّلِ اللهُ حَسَنَاتِكُمْ، وَيَمْحُ ذُنُوبَكُمْ.

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ظَفِرَ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.(*).

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ حَقًّا يَقِينًا: عَدَمُ الْعَدْلِ بِالْقَوْلِ فِي حُكْمٍ، أَوْ شَهَادَةٍ، أَوْ رِوَايَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، **فَإِذَا قُلْتُمْ قَوْلًا فَاصْدُقُوا فِيهِ**، وَقُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ وَكَذَا الْمَشْهُودُ لَهُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ مَحَابَاتَهُ بِقَوْلٍ مَائِلٍ عَنِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ ذَا قَرَابَةٍ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأحزاب: ٧٠-٧١].

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإسراء: ٣٦].

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨].

مَا يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ مِنْ كَلَامٍ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ، وَمَا يَعْمَلُ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا عِنْدَهُ مَلَكٌ حَافِظٌ يَكْتُبُ قَوْلَهُ، مُعَدٌّ مُهَيَّأٌ لِذَلِكَ، حَاضِرٌ عِنْدَهُ لَا يُفَارِقُهُ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مِنْ أَدَلِّ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ قِيمَةِ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ؛ ذَلِكَ الْجُزءُ مِنْ حَدِيثِ الْمَنَامِ الطَّوِيلِ، الَّذِي بَيَّنَ فِيهِ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ جَزَاءَ الرَّجُلِ يَكذِبُ الْكِذبَةَ فَتَطِيرُ كُلَّ مَطَارٍ، وَتَسِيرُ كُلَّ مَسَارٍ، وَيَظُنُّ الْمِسكِينُ أَنَّهُ بِمَنأًىٰ مِنْ عَذَابِ اللهِ ﷻ، وَأَنَّ الْكَلِمَةَ لَا قِيمَةَ لهَا وَلَا وَزْنَ، وَهِيَ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ!!

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(٢) **عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ** رضي الله عنه **قَالَ**: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**».

قَالَ: فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا، فَقَالَ: «**هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**».

قُلْنَا: لَا.

قَالَ: «**لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ** -وَالْكَلُّوبُ:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [ق: ١٨].

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رقم ١٣٨٦) وَمَوَاضِعَ، وَأَخْرَجَهُ -أَيْضًا- مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (رقم ٢٢٧٥) مُخْتَصَرًا.

الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُنْشَلُ بِهَا اللَّحْمُ وَيُعَلَّقُ- يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ..».

ثُمَّ تَعَدَّدَتِ الْمَرَائِي، وَجَاءَ التَّأْوِيلُ.

قَالَ ﷺ: «قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ! فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالَا: نَعَمْ؛ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

«رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ».

هَذَا جَزَاءُ الْكَذَّابِ، يُحَدِّثُ بِالْكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ يَعنِي: هَذَا هُوَ عَذَابُهُ فِي الْبَرزَخِ.

فَانْظُرْ إِلَىٰ هَذَا الْعَذَابِ -هُدِيتَ- كَيْفَ تَنَاوَلَ مِنَ الْكَذَّابِ آلَةَ كَذِبِهِ وَمَوْضِعَ إِفْكِهِ؟!!

وَكَيْفَ يُشَقُّ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، ثُمَّ يُثَنَّىٰ بِالْآخَرِ، فَيَلْتَئِمُ الْأَوَّلُ، فَيُعَادُ عَلَيْهِ بِالشَّقِّ كَمَا صُنِعَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهَكَذَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ!!

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ[1]: «فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ،

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رقم٧٠٤٧).

وَمَنْخِرَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّىٰ يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ..».

وَفِي تَأْوِيلِهَا: «**أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ**».

هَذَا جَزَاءُ مَنْ كَذَبَ الْكِذْبَةَ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ، هَذَا جَزَاءُ مَا أَتَىٰ، وَكِفَاءُ مَا صَنَعَ، فَمَنْ لَا يَقْدُرُ الْكَلِمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْرَهَا؟!!

وَمَنْ لَا يَعْرِفُ لِلْكَلِمَةِ بَعْدَ ذَلِكَ شَأْنَهَا؟!!(*).

لَقَدْ مَيَّزَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- الْإِنْسَانَ بِالْبَيَانِ، وَمَنَحَهُ نِعْمَةَ الْإِبَانَةِ، فَغَدَا بِفَضْلِ رَبِّهِ مُفْصِحًا مُبِينًا.

وَبِالْبَيَانِ خَرَجَ الْإِنْسَانُ عَنْ حَدِّ الْبَهِيمَةِ الْعَجْمَاءِ إِلَىٰ حَدِّ الْإِنْسَانِ النَّاطِقِ الْمُبِينِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

وَلَمَّا كَانَتِ (الْكَلِمَةُ) حَجَرَ الزَّاوِيَةِ فِي ذَلِكَ الْبَيَانِ، كَانَ حَظُّهَا مِنَ الْفَضِيلَةِ إِنْ حَسُنَتْ فَسَمَتْ عَلَىٰ قَدْرِ نَصِيبِهَا مِنَ الرَّذِيلَةِ إِنْ سَاءَتْ فَتَرَدَّتْ؛ فَعَنْ أَبِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ| ٢٩-٤-٢٠١٦م.

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ -تَعَالَىٰ- مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ -تَعَالَىٰ- لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ٣٠٨، رقم (٦٤٧٨).

وفي رواية له أيضًا: ١١/ ٣٠٨، رقم (٦٤٧٧)، ولمسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٢٩٠، رقم (٢٩٨٨)، بلفظ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ٥-٨) - لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

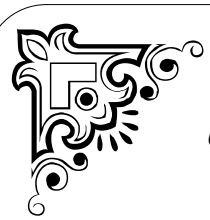

التَّثَبُّتُ فِي الْأَخْبَارِ وَخُطُورَةُ إِذَاعَةِ الْكَذِبِ

عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَىٰ التَّثَبُّتِ مِنَ الْأَخْبَارِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَا يُقَالُ حَقًّا، وَلَا كُلُّ مَا يُنْشَرُ صِدْقًا، وَاللهُ -تَعَالَىٰ- يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٞ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فَالطَّرِيقُ الشَّرْعِيُّ عِنْدَ وُرُودِ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ -سَوَاءٌ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِأَمْنٍ أَوْ خَوْفٍ- أَنْ يُرَدَّ إِلَىٰ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، فَمَا رَأَوُا الْمَصْلَحَةَ فِي نَشْرِهِ وَإِذَاعَتِهِ نُشِرَ، وَمَا رَأَوُا الْمَصْلَحَةَ فِي عَدَمِ نَشْرِهِ لَا يُنْشَرُ؛ حِفَاظًا عَلَىٰ دِينِ النَّاسِ وَأَمْنِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٤٤٥، رقم (٦٠١٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٦٨، رقم (٤٧).

وَالَّذِي يُقَدِّرُ الْخَيْرَ مِنْ عَدَمِهِ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ هُمْ أُولُو الْأَمْرِ، فَالْوَاجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِمْ فِيهَا.(*).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! مَنْ نَظَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ خَاصَّةً، وَفِي التَّارِيخِ عَامَّةً؛ يَعْلَمُ يَقِينًا مَا لِلشَّائِعَاتِ مِنْ خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَأَثَرٍ بَلِيغٍ، فَالشَّائِعَاتُ تُعْتَبَرُ مِنْ أَخْطَرِ الْأَسْلِحَةِ الْفَتَّاكَةِ وَالْمُدَمِّرَةِ لِلْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَشْخَاصِ.

وَكَمْ أَقْلَقَتِ الْإِشَاعَةُ مِنْ أَبْرِيَاءَ، وَحَطَّمَتْ عُظَمَاءَ، وَهَزَمَتْ مِنْ جُيُوشٍ، وَهَدَمَتْ مِنْ وَشَائِجَ، وَتَسَبَّبَتْ فِي جَرَائِمَ، وَفَكَّكَتْ مِنْ عَلَاقَاتٍ وَصَدَاقَاتٍ، وَأَخَّرَتْ مِنْ سَيْرِ أَقْوَامٍ!!

لِخَطَرِهَا وَجَدْنَا الدُّوَلَ تَهْتَمُّ بِهَا، وَالْحُكَّامَ يَرْقُبُونَهَا، مُعْتَبِرِينَ إِيَّاهَا مِقْيَاسَ مَشَاعِرِ الشَّعْبِ نَحْوَ الْإِدَارَةِ صُعُودًا وَهُبُوطًا، وَبَانِينَ عَلَيْهَا تَوَقُّعَاتِهِمْ لِأَحْدَاثٍ مَا، سَوَاءٌ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الْمَحَلِّيِّ أَوِ الْمُسْتَوَىٰ الْخَارِجِيِّ.

وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «مُقَدِّمَةِ الصَّحِيحِ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «إِنِّي أُحَذِّرُ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٧هـ ٢٦-٢-٢٠١٦م.

(٢) مقدمة «صحيح مسلم» (رقم٥)، وأخرجه -أيضًا- أبو داود في «السنن» (رقم٤٩٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥/ رقم٢٠٢٥).

=

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»(١).

وَأَثَرُ الشَّائِعَاتِ سَيِّئٌ جِدًّ سَيِّءٍ، وَيَنْتُجُ عَنْهَا غَالِبًا آثَارٌ أُخْرَىٰ أَسْوَءُ مِنْهَا.(*).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَلَا تَتَّبِعْ -أَيُّهَا الْإِنْسَانُ- فِي أَيِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ حَيَاتِكَ شَيْئًا لَا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصَوَابٌ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ؛ فَإِنَّ لَدَيْكَ مِنْ أَدَوَاتِ الْمَعْرِفَةِ مَا تَسْتَطِيعُ بِهِ التَّبَصُّرَ فِي الْأُمُورِ.

فَإِذَا أَنْتَ اتَّبَعْتَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ؛ فَقَدْ عَطَّلْتَ أَدَوَاتِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَدَيْكَ، إِنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ عَمَّا اسْتَعْمَلَ فِيهِ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي

=

والحديث روي -أيضًا- بمثله عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وزاد: «...، **وكفىٰ بالمرء من الشح أن يقول: آخذ حقي لا أترك منه شيئًا**»، وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٦٦)، وأخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١١، باب٣)، ومحمد بن مخلد العطار في «ما رواه الأكابر عن مالك» (رقم٥٠)، بإسناد صحيح، عن ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ لِي مَالِكٌ: «**اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**».

وأخرجه -أيضًا- البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٥١٨)، بإسناد صحيح، عن الشافعي، عن مالك، قال:... فذكره بمثله.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ| ٢٩-٤-٢٠١٦م.

يُبْصِرُ بِهِ، وَعُمْقَ قَلْبِهِ الَّذِي هُوَ أَدَاةُ الْإِدْرَاكِ فِي الْإِنْسَانِ، وَمَرْكَزُ اسْتِقْرَارِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَالَّذِي تَنْطَلِقُ مِنْهُ الْإِرَادَاتُ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

قَدْ فَازَ الْمُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، الْعَامِلُونَ بِشَرْعِهِ بِمَا يُرِيدُونَ -أَيْ: فَازُوا بِمَا يُرِيدُونَ- وَظَفِرُوا بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيِّ، وَهُمُ الْمَوْصُوفُونَ بِالْأَوْصَافِ الْآتِيَةِ... وَذَكَرَ ﷻ مِنْهَا: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ مُتَذَلِّلُونَ خَاضِعُونَ، جَمَعُوا بَيْنَ أَفْعَالِ الْقَلْبِ كَالْخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ، وَأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ كَالسُّكُونِ وَتَرْكِ الِالْتِفَاتِ.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ كُلِّ بَاطِلٍ وَمَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مُعْرِضُونَ.(*/٢).

إِنَّ كُلَّ خَبَرٍ يَنْشُرُهُ الْإِنْسَانُ مِمَّا يُثِيرُ الْفِتْنَةَ أَوِ الْغَوْغَاءَ، أَوْ يُثِيرُ التَّسَخُّطَ، أَوْ يُسَبِّبُ شَتْمًا أَوْ أَذِيَّةً لِأَيِّ إِنْسَانٍ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، أَوْ يُنَبِّهُ بَعْضَ النَّاسِ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ كَانُوا عَنْهُ غَافِلِينَ، لَا يَجُوزُ نَشْرُهُ، وَنَاشِرُهُ آثِمٌ، يَحْمِلُ إِثْمَ كُلِّ مَا تَسَبَّبَ بِهِ خَبَرُهُ.

وَاللهُ -تَعَالَىٰ- ذَمَّ كُلَّ نَاشِرٍ لِلْأَخْبَارِ الَّتِي تُزَعْزِعُ أَمْنَ النَّاسِ، وَتُثِيرُ الْخَوْفَ وَتَدْعُو إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ فِي الْمُجْتَمَعِ؛ لِأَنَّ السُّوقَةَ وَعَامَّةَ النَّاسِ لَا يَصْلُحُونَ لِمِثْلِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الإسراء: ٣٦].

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [المؤمنون: ١-٣].

هَذِهِ الْأُمُورِ، وَلَا لِأُمُورِ السِّيَاسَةِ، وَلَيْسَ لِعَامَّةِ النَّاسِ أَنْ يَلُوكُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِسِيَاسَةِ وُلَاةِ الْأُمُورِ.

السِّيَاسَةُ لَهَا نَاسُهَا، وَلَوْ أَنَّ السِّيَاسَةَ صَارَتْ تُلَاكُ بَيْنَ أَلْسُنِ عَامَّةِ النَّاسِ لَفَسَدَتِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْعَامِّيَّ لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ عَقْلٌ.

الْعَامَّةُ لَيْسُوا كَأُولِي الْأَمْرِ وَأُولِي الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ، فَلَيْسَ الْكَلَامُ فِي السِّيَاسَةِ مِنَ الْمَجَالَاتِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ فِيهَا أَفْرَادُ الْمُجْتَمَعِ جَمِيعًا!!

مَنْ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ الْعَامَّةُ مُشَارِكَةً لِوُلَاةِ الْأُمُورِ فِي سِيَاسَتِهَا وَفِي رَأْيِهَا وَفِكْرِهَا؛ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَخَرَجَ عَنْ هَدْيِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

هَذَا يَدُلُّ علَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنبَغِي لهُ أَنْ يَكُونَ مُذِيعًا؛ كُلَّمَا سَمِعَ عَنْ خَبَرٍ مِنْ خَوْفٍ أَوْ أَمْنٍ أَذَاعَهُ، بَلْ قَد يَكُونُ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَكْتُمَ هَذَا الْخَبَرَ الَّذِي حَصَّلَ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا بِحِفْظِ مَنْطِقِنَا وَبِحِفْظِ أَلْسِنَتِنَا.

فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ، وَاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ، وَخَفْ عَلَىٰ بَلَدِكَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ| ٦-٥-٢٠١٦م.

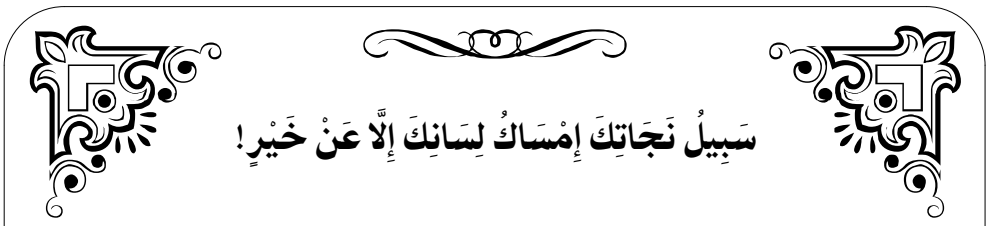

سَبِيلُ نَجَاتِكَ إِمْسَاكُ لِسَانِكَ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ!

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا ظَهَرَتْ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وَمَتَىٰ اسْتَوَىٰ الْكَلَامُ وَتَرْكُهُ فِي الْمَصْلَحَةِ، فَالسُّنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَىٰ حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْعَادَةِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا يَتَكَلَّمَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ خَيْرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَمَتَىٰ شَكَّ فِي ظُهُورِ الْمَصْلَحَةِ فَلَا يَتَكَلَّمُ».

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِفْظَ اللِّسَانِ مَعَ حِفْظِ الْفَرْجِ جَوَازًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ، فَمَنْ ضَمِنَ اللِّسَانَ وَالْفَرْجَ ضَمِنَ لَهُ النَّبِيُّ الْجَنَّةَ؛ قَالَ ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ**

---

(١) «**رياض الصالحين**»: كتَاب الأمُور المَنهي عَنْهَا، باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان، ص٤٢٧.

(٢) تقدم تخريجه.

لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

قَالَ الْحَافِظُ(٢): «الضَّمَانُ بِمَعْنَىٰ الْوَفَاءِ بِتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ، فَأَطْلَقَ الضَّمَانَ وَأَرَادَ لَازِمَهُ، وَهُوَ أَدَاءُ الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ؛ فَالْمَعْنَىٰ: مَنْ أَدَّىٰ الْحَقَّ الَّذِي عَلَىٰ لِسَانِهِ مِنَ النُّطْقِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ، أَوِ الصَّمْتِ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ، وَأَدَّىٰ الْحَقَّ الَّذِي عَلَىٰ فَرْجِهِ مِنْ وَضْعِهِ فِي الْحَلَالِ وَكَفِّهِ عَنِ الْحَرَامِ.

وَقَوْلُهُ: «**لَحْيَيْهِ**».. هُمَا الْعَظْمَانِ فِي جَانِبَيِ الْفَمِ، وَالْمُرَادُ بِمَا بَيْنَهُمَا: اللِّسَانُ وَمَا يَتَأَتَّىٰ بِهِ النُّطْقُ، وَبِمَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ: الْفَرْجُ».

وَفِي بَيَانِ أَنَّ اللِّسَانَ قَائِدُ الْأَعْضَاءِ فِي الِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْوِجَاجِ، أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه أَنَّهُ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(٣). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَتَكْفِيرُ الْأَعْضَاءِ لِلِّسَانِ كِنَايَةٌ عَنْ تَنْزِيلِ الْأَعْضَاءِ اللِّسَانَ مَنْزِلَةَ الْكَافِرِ بِالنِّعَمِ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ٣٠٨ رقم (٦٤٧٤)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه.

وفي رواية له: ١٢/ ١١٣، رقم (٦٨٠٧)، بلفظ: «**مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ**».

(٢) «**فتح الباري**»: ١١/ ٣٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٤/ ٦٠٥-٦٠٦ رقم (٢٤٠٧).

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٣/ ٩٣ رقم (٢٨٧١).

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ اللِّسَانَ أَخْوَفَ مَا يَخَافُ عَلَىٰ سُفْيَانَ بن عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه؛ فَقَدْ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ.

قَالَ: «**قُلْ: رَبِّيَ اللهُ.. ثُمَّ اسْتَقِمْ**».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟!!

فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَأَوَّلُ مَذْكُورٍ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه فِي بَيَانِ النَّجَاةِ هُوَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ**»؛ فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاةُ؟!

قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ**»(٢). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٤/ ٦٠٧ رقم (٢٤١٠)، وابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٣١٤ رقم (٣٩٧٢)، من حديث: سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا قال الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٣/ ٨٧ رقم (٢٨٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٤/ ٦٠٥ رقم (٢٤٠٦)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنهما.
وجاء في بعض نسخ «**الجامع**» للترمذي، بلفظ: «**امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ**،...».
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٣/ ٤٢ رقم (٢٧٤١).

وَفِي حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ كَفَّ الْمَرْءِ لِسَانَهُ مِلَاكَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا مُعَاذٌ رضي الله عنه، ثُمَّ بَيَّنَ ﷺ أَنَّهُ لَا يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ.

عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ.

قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟! الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**».

ثُمَّ تَلَا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾، حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟**».

قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**»

قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ!

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟!!

فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**بِمِلَاكِ**»؛ أَيْ: بِمَا يَمْلِكُ بِهِ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ كُلَّهُ، بِحَيْثُ يَسْهُلُ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَا ذُكِرَ.

وَقَوْلُهُ: «**يَكُبُّ**»؛ مِنْ كَبَّهُ، إِذَا صَرَعَهُ.

وَ«**حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»؛ بِمَعْنَىٰ: «**مَحْصُودَاتُهُمْ**»، عَلَىٰ تَشْبِيهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْإِنْسَانُ بِالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ بِالْمِنْجَلِ، فَكَمَا أَنَّ الْمِنْجَلَ يَقْطَعُ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَجَيِّدٍ وَرَدِيءٍ، كَذَلِكَ لِسَانُ الْمِكْثَارِ، يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ فَنٍّ مِنَ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ مَا يَحْسُنُ وَمَا يَقْبُحُ.

وَفِي إِعْرَاضِ الْمَرْءِ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ سَمْتٌ حَسَنٌ، وَعَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا أَخْبَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٥/ ١١ رقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٣١٤ رقم (٣٩٧٣).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث حسن إسناده الألباني في «**إرواء الغليل**»: ٢/ ١٣٩ رقم (٤١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٤/ ٥٥٨ رقم (٢٣١٧)، وابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٣١٥ رقم (٣٩٧٦).

=

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ»(١): «فَمَنْ عَرَفَ قَدْرَ زَمَانِهِ، وَأَنَّهُ رَأْسُ مَالِهِ، لَمْ يُنْفِقْهُ إِلَّا فِي فَائِدَةٍ، وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ تُوجِبُ حَبْسَ اللِّسَانِ عَنِ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِي؛ لِأَنَّهُ مَنْ تَرَكَ ذِكْرَ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَاشْتَغَلَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، كَانَ كَمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ أَخْذِ جَوْهَرَةٍ، فَأَخَذَ عِوَضَهَا مَدَرَةً، وَهَذَا مِنْ خُسْرَانِ الْعُمُرِ».

وَفِي إِنْفَاقِ الْعُمُرِ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ ضَيَاعٌ أَيُّ ضَيَاعٍ!! هَذَا إِذَا ذَهَبَ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ الْمُؤَاخَذَةُ عَلَيْهِ؟!!

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ الْمُؤَاخَذَةُ عَلَىٰ مَا لَا يَرَىٰ بِهِ الْمَرْءُ بَأْسًا، وَهُوَ بَأْسٌ أَيُّ بَأْسٍ؟!!

وَلَا يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلَّا بِانْعِدَامِ التَّقْدِيرِ، وَلَا يَنْعَدِمُ تَقْدِيرُ الْعَوَاقِبِ فِي الْكَلَامِ إِلَّا بِالْإِغْرَاقِ فِيهِ إِغْرَاقًا يُغَيِّبُ الْعَقْلَ، أَوْ يَكَادُ يُغَيِّبُهُ، فَلَا يُحْسِنُ عِنْدَ ذَلِكَ تَقْدِيرَ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

=

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٣/ ٩٦ رقم (٢٨٨١).

(١) «**مختصر منهاج القاصدين**»: ص١٦٥-١٦٦.

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٤/ ٥٥٧ رقم (٢٣١٤) واللفظ له، وابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٣١٣ رقم (٣٩٧٠).

=

فَانْظُرْ -هَدَانِي اللهُ وَإِيَّاكَ- إِلَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا**»، وَتَأَمَّلْ جَيِّدًا.. أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنِّي وَعَنْكَ!(*).

❀❀❀

=

ولفظ ابن ماجه: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا**،...» الحديث.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسن إسناده الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ٣/ ٩٥ رقم (٢٨٧٥)، وأصله في «الصحيحين» وقد تقدم.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ١٢-١٥) - لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

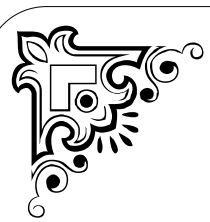

الصِّدْقُ وَأَثَرُهُ فِي صَلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ

عِبَادَ اللهِ! «إِنَّ الْإِيمَانَ أَسَاسُهُ الصِّدْقُ، وَالنِّفَاقُ أَسَاسُهُ الْكَذِبُ، فَلَا يَجْتَمِعُ كَذِبٌ وَإِيمَانٌ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا يُحَارِبُ الْآخَرَ، وَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ فِي الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ وَيُنَجِّيهِ مِنْ عَذَابِهِ إِلَّا صَدَّقُهُ؛ فَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣- ٤٥].

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا دَائِمًا، فَإِذَنْ.. هُوَ مِنْ شَأْنِهِ الصِّدْقُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ وَحَالِهِ»[١]. (*).

---

(١) «نضرة النعيم»: (٦/ ٢٤٧٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ لِلصِّدْقِ فَضَائِلَ عَظِيمَةً دُنْيَا وَآخِرَةً؛ وَأَعْظَمُ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ الْجَنَّةُ؛ فَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ.. عِنْدَمَا أَمَرَ بِالصِّدْقِ، بَيَّنَ عَاقِبَتَهُ؛ فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ**»(١).

فَصَاحِبُ الْبِرِّ يَهْدِيهِ بِرُّهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ غَايَةُ كُلِّ مَطْلَبٍ.(*).

* **وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ الْعَظِيمَةِ: إِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ؛** فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٣) بِسَنَدِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**».(*/٢).

* **وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: اقْتِرَانُ الصِّدِّيقِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ دَوَامًا فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَيُطِعِ الرَّسُولَ فِي السُّنَنِ الَّتِي سَنَّهَا؛ فَأُولَئِكَ الْفُضَلَاءُ ذَوُو الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، الْمُطِيعُونَ لِلهِ وَرَسُولِهِ فِي صُحْبَةِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَبِدُخُولِ الْجَنَّةِ فِي

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

(٣) «صحيح مسلم»: (٣/ ١٥١٧، رقم ١٩٠٩)، من حديث: سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

الْآخِرَةِ فِي مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ، مِنَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَنْبَأَهُمُ اللهُ وَاخْتَارَهُمْ لِيُخْبِرُوا عَنْهُ -سُبْحَانَهُ- وَيُبَلِّغُوا شَرْعَهُ.

وَمَعَ كَثِيرِي الصِّدْقِ فِي إِيمَانِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِكُلِّ الدِّينِ.

وَالشُّهَدَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا الْحَقَّ وَعَلِمُوهُ كَعِلْمِ الْمُعَايَنَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ، وَاسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبَذَلُوا أَرْوَاحَهُمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ.

وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَنِعْمَتِ الصُّحْبَةُ صُحْبَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.(*).

* **وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: أَنَّ مَنْ صَدَقَ اللهَ صَدَقَهُ اللهُ؛** فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ رضي الله عنه -فِيمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» وَغَيْرِهِ-: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ.

فَأَوْصَىٰ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ، غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَهُ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَىٰ أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَىٰ ظَهْرَهُمْ -كَانَ فِي إِبِلِهِمْ يَرْعَاهَا، فَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا-، فَأَعْطَىٰ أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟!!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ٦٩].

قَالُوا: قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ. فَأَخَذَهُ، فَجَاءَ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟!

قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**».

قَالَ: مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكَ! وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ أُرْمَىٰ إِلَىٰ هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقِهِ- بِسَهْمٍ؛ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ.

فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**».

فَلَبِثُوا قَلِيلًا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟!!**».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ، فَصَدَقَهُ اللهُ**».

ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّتِهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ -أَيْ مِنْ دُعَائِهِ-: «**اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

خُذْ هَذَا السَّبْيَ! فَقَالَ: مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكَ! لَمْ أَتَّبِعْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ أَنْ أُحَصِّلَ فِي الدُّنْيَا مَغْنَمًا، وَلَا أَنْ أُفِيدَ فِيهَا فَائِدَةً؛ وَإِنَّمَا اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ أُرْمَىٰ بِسَهْمٍ هَاهُنَا، يَخْتَارُ مِيتَةً يُؤْتِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهَا كَمَا اخْتَارَهَا، وَيُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ إِلَىٰ حَلْقِهِ، أَنْ أُرْمَىٰ بِسَهْمٍ هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقِهِ-؛ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَوَكَلَهُ الرَّسُولُ إِلَىٰ صِدْقِهِ مَعَ رَبِّهِ؛ قَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**».

فَجِيءَ بِهِ مَحْمُولًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَأَكَّدَ مِنْهُ: «**أَهُوَ هُوَ؟!!**»

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

السَّهْمُ فِي حَلْقِهِ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِأُصْبُعِهِ، فَقَالَ: «**صَدَقَ اللهَ، فَصَدَقَهُ اللهُ**»، ثُمَّ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُ.

هَذِهِ حَقِيقَةُ الدِّينِ، حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ، حَقِيقَةُ الْعَمَلِ لِخِدْمَةِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَيْسَ هَاهُنَا شَيْءٌ، الْفَائِدَةُ هُنَاكَ، الْأَجْرُ هُنَاكَ، الْمَثُوبَةُ هُنَاكَ، وَأَمَّا هَاهُنَا فِي الدُّنْيَا؛ فَتَعَبٌ، وَنَصَبٌ، وَعَنَاءٌ، وَبَلَاءٌ، وَأَلَمٌ، وَمَشَقَّةٌ، وَاللهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُصْلِحُ الْبَالَ، وَيُطَمْئِنُ الْقَلْبَ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.(*).

* **وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: أَنَّ الصَّادِقَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ؛ فَفِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»(٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ؟

فَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ**»؛ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ.. هَذَا أَفْضَلُ النَّاسِ.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَدُوقُ اللِّسَانِ عَرَفْنَاهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

(٢) «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني (٣/ ٣٧٣، رقم ٣٤١٦).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ فِيهِ، وَلَا حَسَدَ**»(١).

فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ جَلَّوَعَلَا سَلَامَةُ الصَّدْرِ، وَمَنْ كَانَ عَنِ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ مُنَزَّهًا، وَمِنْ ذَلِكَ مُبَرَّأً.

فَهَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ يُوَضِّحُ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ وَأَكْرَمَ النَّاسِ فِي مِيزَانِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مَنْ هَذَّبَ النَّفْسَ وَصَفَّاهَا، وَرَقَّقَ الْقَلْبَ وَأَعْلَاهُ عَلَىٰ مَنْهَجِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا وَسُنَّةً، وَأَمَّا مَنْ دَسَّاهَا فَقَدْ خَابَ، كَمَا قَرَّرَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ.(*).

* **وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: النَّجَاةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَيْلُ رِضْوَانِ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا يَوْمُ الْجَزَاءِ؛ الَّذِي يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ -فِي إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا- صِدْقُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصحح إسناده الألباني -أيضًا- في «الصحيحة» (٩٤٨)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَا صَحَّ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ| ٢٤-٩-٢٠٠٤م.

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ وَقَبُولِ حَسَنَاتِهِمْ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ ثَوَابٍ عَظِيمٍ وَرِضْوَانٍ كَبِيرٍ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ وَالرِّضَا مِنْهُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.(*).

وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: الْبَرَكَةُ فِي الْمُعَامَلَاتِ التِّجَارِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ «**فَصِدْقُ الْمُتَبَايِعِينَ يُحِلُّ الْبَرَكَةَ فِي بَيْعِهِمْ، كَمَا أَنَّ كَذِبَهُمَا يَمْحَقُ بَرَكَةَ بَيْعِهِمْ**»(٢). (*/٢)؛ فَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ(٤) مِنْ طَرِيقِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا؛ فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

«**الْبَيِّعَانِ**: الْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي، أُطْلِقَ عَلَيْهِمَا اسْمُ الْبَيْعِ مِنْ بَابِ التَّغْلِيبِ؛ كَمَا يُقَالُ الْقَمَرَانِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَمَا يُقَالُ الْعُمَرَانِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما»(٥). (*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [المائدة: ١١٩].

(٢) «**نضرة النعيم**»: (٦/ ٢٤٧٩).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م

(٤) أخرجه البخاري: (٤/ ٣٠٩، رقم ٢٠٧٩)، ومسلم: (٣/ ١١٦٤، رقم ١٥٣٢).

(٥) «**شرح رياض الصالحين**» لابن عثيمين: (١/ ٣١٩).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَوْ صَدَقَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٤-٢-٢٠١٤م.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ الْجَلِيلَةِ؛ أَنَّهُ سَبَبُ تَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ وَالنَّجَاةِ فِي الْمُلِمَّاتِ فِي الدُّنْيَا؛** فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.**

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَىٰ فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا.

فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ!

فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ.. فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا! فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، وَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّىٰ يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا! فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّىٰ نَظَرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّىٰ قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ! فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا! فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ، فَخَرَجُوا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ- وَمُسْلِمٌ(١).

«وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ..».(*).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ عِظَمِ الصِّدْقِ عِنْدَ اللهِ ﷻ، وَعَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ بِكَثْرَتِهَا؛ وَإِنَّمَا بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهَا، بِتَخْلِيصِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ وَمِمَّا يُحْبِطُهَا.

فَمَهْمَا حَاوَلَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِعَمَلٍ لَمْ يَصْدُقْ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ لِلهِ مُخْلِصًا؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحْبِطُ عَمَلَهُ وَيَرُدُّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا فِيهِ عَذَّبَهُ عَلَيْهِ.(*/٢).

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/ ٥٠٦، رقم ٣٤٦٥)، ومسلم: (٤/ ٢٠٩٩، رقم ٢٧٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ، وَرَاحَةُ الْقَلْبِ، وَسُكُونُ الرُّوحِ وَالضَّمِيرِ؛ قال ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»(١)؛ فَالْخَيْرُ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ، وَالشَّرُّ تَرْتَابُ بِهِ وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَعَلَامَةُ الصِّدْقِ أَنَّهُ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ، وَعَلَامَةُ الْكَذِبِ أَنَّهُ تَحْصُلُ بِهِ الرِّيبَةُ، فَلَا تَسْكُنُ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ، بَلْ تَنْفِرُ الْقُلُوبُ مِنْهُ.

الصِّدْقُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْكَذِبُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ الْفَاجِرِينَ؛ فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي طَلَبِهِ، وَأَنْ يَلْزَمَهُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا.

وَيَنْبَغِي أَلَّا يُتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ الْكَذِبِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكْذِبُ، قَدْ يَقَعُ فِي أُمُورٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يَكْذِبُ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ فِي هَذَا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَثْبُتَ حَتَّىٰ لَا يَسْتَفِزَّنَا كَذِبُ الْكَاذِبِينَ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْذِبُونَ، فَلَا نُقَابِلُ كَذِبًا بِكَذِبٍ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ؛ بَلْ نَدْفَعُ كَذِبَهُمْ بِالصِّدْقِ، نَتَحَرَّاهُ وَنَثْبُتُ عَلَيْهِ وَلَا نُفَارِقُهُ، وَلَا نُبَالِي بِكَذِبِ الْكَاذِبِينَ؛ فَـ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾ [يونس: ٨١]، أَمَّا أَنْ نُقَابِلَ كَذِبًا بِكَذِبٍ فَهَذَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللهَ فِيهِ.(*).

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (الْحَدِيثُ الْحَادِي عَشَر: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ) - الثُّلَاثَاءُ ٢٢ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٢٦-١١-٢٠١٣م.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ: تَرَابُطُ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، وَتَعَاوُنُهُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَالْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ مِنْ أَسْبَابِ قُوَّةِ الْمُجْتَمَعَاتِ**؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»(١).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ**».

إِذَنْ.. الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعًا جَسَدٌ وَاحِدٌ.

إِنَّ الْأُخُوَّةَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

* أُخُوَّةٌ هِيَ أُخُوَّةُ النَّسَبِ.

* وَأُخُوَّةٌ هِيَ أُخُوَّةُ الْعَقِيدَةِ.

فَأَمَّا الْأُخُوَّةُ الْأُولَىٰ فَإِنَّهَا هِيَ أَوَّلُ مَا يَحْرِصُ الْمَرْءُ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِهِ إِذَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ مَا يَسُوءُ؛ هِيَ أَوَّلُ مَا يَنْطِقُ بِهِ الْمَرْءُ إِذَا مَا أَتَاهُ مَا يُفْجِعُهُ وَيُفْظِعُهُ، كَأَنَّمَا يَدْعُو أَخَاهُ لِيُنْقِذَهُ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي مَكَّنَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا وَمِنْهَا مِمَّا قَدْ أَلَمَّ بِهِ، «أَخٌ».. هِيَ أَوَّلُ مَا يَأْتِي لِلْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَقَعُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَا يَسُوءُهُ.

*** وَأَمَّا أُخُوَّةُ الْعَقِيدَةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** [الحجرات: ١٠].

يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ أُخُوَّةِ الْعَقِيدَةِ لَا نَسَبَ وَلَا رَحِمَ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأُنَاسٌ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا بِشُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقَامِهِمْ**

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**هُمْ أَقْوَامٌ تَحَابُّوا عَلَىٰ غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَعَلَىٰ غَيْرِ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا**»(١).

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو الْأُمَّةَ لِكَيْ تَكُونَ جَسَدًا وَاحِدًا.(*).

وَمِنْ هَذَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُنَجِّيكَ إِلَّا الصِّدْقُ، وَأَنَّ مَخْرَجَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّا تَوَرَّطَتْ فِيهِ صِدْقُهَا؛ صِدْقُهَا مَعَ رَبِّهَا، صِدْقُهَا مَعَ أَنْفُسِهَا، صِدْقُهَا مَعَ النَّاسِ، صِدْقُهَا مَعَ الْعَالَمِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الصَّادِقِينَ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يُقِيمَنَا فِي مَقَامِ الصِّدْقِ عِنْدَهُ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود (رَقْم ٣٥٢٧)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وتمامه: «...، **فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ رَقْم ٣٠٢٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الصِّدْقِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٢٥-١٠-٢٠١٣م.

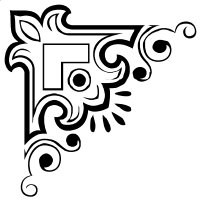

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الصِّدْقُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ، وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ٤

مَعْنَىٰ الصِّدْقِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا ٦

أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالصِّدْقِ وَثَنَاؤُهُ عَلَىٰ الصَّادِقِينَ ١٢

فَضْلُ الصِّدْقِ وَذَمُّ الْكَذِبِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ١٦

الرَّسُولُ ﷺ هُوَ إِمَامُ الصَّادِقِينَ ٢٩

اصْدُقُوا! فَالْكَلِمَةُ أَمَانَةٌ ٣١

التَّثَبُّتُ فِي الْأَخْبَارِ وَخُطُورَةُ إِذَاعَةِ الْكَذِبِ ٣٦

سَبِيلُ نَجَاتِكَ إِمْسَاكُ لِسَانِكَ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ! ٤١

الصِّدْقُ وَأَثَرُهُ فِي صَلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ ٤٨

الْفِهْرِسُ ٦٠